

## دراسة فى الأمثال النبوية و أثرها فى الشعر العربى

عليرضا ميرزا محمد\*

### المستخلص

إنَّ الأمثال النبوية الشريفة قسم من الأمثال الإسلامية التي قد جاءت فى صورة رائعة تنبىء عن عظمة البلاغة النبوية. و هذه الأمثال بما أنّها قد اجتمعت أداتها، و استحكمت معانيها، و أبرمت أفكارها، و كملت رصانتها، و تشعبت فوائدها، تدلّ على أنّ الرسول (ص) كان يفتح الكلام و يختمه بأشداقه، و يتكلّم بجوامع الكلم التي لم يسبقه العرب إليها، فالألفاظ مشاكلة للمعاني فى الحسن و البهاء و القيمة، و كذلك المعانى موافقة للألفاظ فى جمالها، و هى فى انسجام تركيبها كالعقد النظيم. أمّا هذه المقالة فقد تناولت الأمثال النبوية الموجزة من جميع جوانبها، و قد بدأت البحث بذكر الخصائص التي تمتاز بها عمّا سواها، فأوليت تلك الأمثال العناية التي تستحقّ، و تحدّثت عن بلاغتها و تفوقها على أمثال العرب و العجم، ثمّ نوّهت ببعض المصنّفات التي اهتمّت بجمعها و تدوينها، و انتقلت أخيراً إلى قضية الاستشهاد بها، و ذكرت نماذج من هذه الأمثال التي تأثر بها الشعراء و صاغوا على و هج من ضيائها السرمدي قصائدهم الرائعة و قوافيهم المتدفقة بالخير و الهداية و الإيمان.

الكلمات الرئيسية: المثل، الشعر، البلاغة النبوية، الجمال الفنى، أمثال الرسول.

### المقدمة

للأمثال العربية أهمية كبيرة فى الأدب العربى و تاريخه، ذلك أنّها تربط ماضى الشعب العربى بحاضره، و أنّ فيها دلالات واضحة على حياة العرب، و لا سيما فى العصر الجاهلى الذى قد

\* استاذ مشارك و عضو الهيئة العلمية فى معهد العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية - طهران

ar.mirzamohammad@yahoo.com

تاريخ الوصول: ٨٩/٨/٢٥، تاريخ القبول: ٨٩/١١/١٦

اشتهرت فيه طائفة من الرجال بالحكمة و الأمثال، و تواترت أقوالهم على شفاه الناس حتى سجّلتها الكتب العربية.

ثم تطورت العقلية العربية عند ظهور الإسلام، فكانت الأمثال صورة للمرحلة العقلية الجديدة التي ابتعدت عن بدائيتها شيئاً ما، وجاءت بأفكار و مثل جديدة لم تعرفها من ذي قبل (السامرائي، بلاتا: ١٧). من هذا يتبين أن الأمثال التي نشأت في صدر الإسلام معظمها مقتبس من كتاب الله و كلام الرسول (ص) بوصفها مصدرين رئيسيين للشريعة الإسلامية الغراء، و قليل منها منسوب إلى الآخرين عدا الكلمات القصار المروية عن الامام علي (ع). لذلك تنقسم الأمثال الإسلامية ثلاثة أقسام، منها الأمثال النبوية التي استعملت في مختلف الأغراض كتقرير حكم، أو إرشاد إلى خير، أو تنفير من شر، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم و دنياهم بعبارة أخرى هي في الفصاحة و البلاغة و روعة البيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم.

و مما يدل على هذه الحقيقة الناصعة قوله تعالى «و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً» (النساء / ١١٣)، كما يكشف عنها ما قاله الرسول (ص): «أدبني ربي فأحسن تأديبي» (المتقى الهندي، ١٤٠٥ هـ.ق: ج ١١ / ص ٤٠٦)، و لذلك نجده أولى الناس و أليقهم بأن يقول: «أنا أفصح العرب» (المجلسي، محمدباقر، ١٤٠٣ هـ.ق: ج ١٧ / ص ١٥٨)، لأنه كان أخلصهم منطقاً، و أعذبهم بياناً، و أصوبهم رأياً، و أبلغهم معنى، و أبعدهم نظراً؛ و هذا لا يتأتى إلا بعناية من الله و فضله. و لو تمنع النظر في كلمة له قالها (ص): «أعطيت جوامع الكلم» (المتقى الهندي، ١٤٠٥ هـ.ق: ج ١٦ / ص ١١٢)، تطلع على أن كلامه مع قلّة ألفاظه و اتساع معناه و إحكام أسلوبه في غير تعقيد و تكلف قد خرج عن قريحة واعية، و وحى صادق، و إلهام صائب، فصار أروع الأمثال التي لم يتفّق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، و روعة فصاحتها، و قوة دلالتها، ثم أصبح ميراثاً خالداً في الأدب الإسلامي.

### نسق البلاغة النبوية

و ما من شك في هذا المقام أن نسق البلاغة النبوية يمتاز في جملة بأنه ليس من شيء نجده في كلام الفصحاء و البلغاء، إذ هو مبني على الخلوص و القصد و الاستيفاء. و لاجتماع تلك الثلاثة في كلام النبي (ص) و بناء بعضها على بعض، سلم هذا الكلام المتقن العظيم من التعقيد و التكلف و العي و الخطل و الانتشار و سلمت وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول البلاغة، كالمجاز البعيد، و ضروب الإحالة، و فنون الصنعة، و فساد الوضع المعنوي، و إليها ممّا هو فاش في كلام البلغاء<sup>١</sup>.

فعلى هذا، يمكن القول بأن هذا النسق البلاغى الوحيد من نوعه إنمّا هو فى أكثر الحدّ الإنسانى من الإعجاز، يكون فوق كلام المخلوق من جهة، و دون كلام الخالق من جهة أخرى. هذا يذكّرنا بأن النبوة لها أثرها العظيم فى البلاغة النبوية التى امتاز بها النبى (ص) عن كلّ بلغاء الدنيا، و أنها أكبر السبب فى شدّة الوضوح فى كلامه الذى يفيض بالحكمة و يصقل النفوس بمداد الإيمان و يودع فيها إشراق اليقين.

وقد تناول الأدباء و العلماء و الكتّاب القدامى و المحدثين وصف البلاغة النبوية، فقال الجاحظ:

و هو الكلام الذى قلّ عدد حروفه، و كثر معانيه، و جلّ عن الصنعة، و نزه عن التكلف ... استعمل المبسوط فى موضع البسيط، و المقصور فى موضع القصر، و هجر الغريب الوحشى، و رغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، و لم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، و شُيد بالتأييد، و يُسرّ بالتوفيق. و هو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة، و غشاه بالقبول، و جمع له بين المهابة و الحلاوة، و بين حسن الإفهام و قلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادة و قلّة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، و لازلت به قدم، و لا بارت له حجة، و لم يقم له خصم، و لا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، و لا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، و لا يحتج إلا بالصدق و لا يطلب الفلج إلا بالحق، و لا يستعين بالخلافة، و لا يستعمل المواربة، و لا يهمز و لا يلمز، و لا يبطىء و لا يعجل، و لا يسهب و لا يحصر. ثمّ لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعاً، و لا أقصد لفظاً، و لا أعدل وزناً، و لا أجمل مذهباً، و لا أكرم مطلباً، و لا أحسن موقعاً، و لا أسهل مخرجاً، و لا أفصح معنى، و لا أبين فى فحوى من كلامه (الجاحظ، ١٤١٩هـ.ق: ج ٢/ص ١٠ - ١١).

أمّا الرافعى فقد بسط الكلام فى كتابه «إعجاز القرآن» عن بلاغة النبى (ص) من وجوه كثيرة و نحن نقطف ممّا قاله فيها قوله:

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، و يصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهى إن لم تكن من الوحي و لكنّها جاءت من سبيله و إن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله، محكمة الفصول، حتّى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول، حتّى ليس فيها كلمة مفصولة. و كأنمّا هى فى اختصارها و إفادتها نبض قلب يتكلم، و إنمّا هى فى سموها و إجادتها مظهر من خواطره. إن خرجت فى الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح، و إن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح فى متزع يلين فينفر بالدموع و يشتدّ فينزو بالدماء، و إذا أراك القرآن أنّه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنّه كلام الأرض بعد السماء (الرافعى، ١٤٢١هـ.ق: ص ١٩٤).

و له أيضاً مقالة فى كتاب «وحي القلم» يبحث فيها عن الجمال الفنّى فى البلاغة النبوية، فيقول:

إنّ النبى (ص) كما هو أعظم نبىّ و أعظم مصلح، فهو أعظم أديب، لأنّ فنّه الأدبى أعظم فنّ

يحقّق للإنسانية حياة أخلاقها، و هو بكلّ ذلك أعظم إنسان. فالفنّ في هذه البلاغة هو في دقائقه أثر تلك الروح العليا بكلّ خصائصها العظيمة التي يحتاج إليها الوجود الروحاني على هذه الأرض، و لذا ترى كلامه يخرج من حدود الزمان، فكلّ عصر واجد فيه ما يقال له، هو بذلك نبوة لا تنقضي، و هو حيّ بالحياة ذاتها (الرافعي، مصطفى، بلاتا: ج ٣/ ص ١٦ - ١٧).

و هكذا انفرد النبيّ (ص) في كلامه و آدابه بتلك الخصائص الرفيعة في اللغة و البيان، و لم يسبقه إليها أحد من الفصحاء و البلغاء و شهدوا له بذلك، و صار كلامه الجامع متميّزاً في حدّ ذاته، لا يخرج في نسبته عنه، و لا يضاويه بيان آخر من سائر كلامهم.

### أمثال النبيّ (ص)، جمعها و تدوينها

قد اجتمع في كلام النبيّ (ص) من الفصاحة و البلاغة، و روعة الإيجاز، و دقّة التصوير، و إصابة المعنى ما لم يجتمع في كلام أحد قبله أو بعده، و جاءت أقواله موجزة بليغة تشتمل على النصائح الدينية و الدنيوية، و الحكم البالغة الرفيعة، و القيم الخلقية الرائعة التي لا يوجد مثلها في كلام غيره من الأنبياء، أو الأولياء، أو الحكماء، أو رجال العلم و الأدب. و لذلك تداولها النّاس في أحاديثهم اليومية، و غدا الكثير منها أمثلاً سائرة. و هذه الكلمات أو الأحاديث التي تزخر بجوامع الكلم كثيرة و غزيرة جداً بحيث قد جاء في رواية أنّ عبد الله بن عمرو قال: «حفظت عن النبيّ ألف مثل» (المتقى الهندي، ١٤٠٥هـ.ق: ج ١٣/ ص ٤٧٩).

و بما أنّ النبيّ (ص) قد فاق كلامه كلّ العرب، خاصّة في أمثاله الرائعة التي تعدّ من حسنات البيان، فقد روى عن الامام عليّ (ع) أنّه قال: «ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا و سمعتها من رسول الله (ص) و سمعته يقول: «مات حتف أنفه» و ما سمعتها من عربيّ قبله» (الرافعي، مصطفى، ١٤٢١هـ.ق: ص ٢١٦).

و مثل ذلك قوله في صفة الحرب يوم حنين: «الآن حمى الوطيس»، و قوله في حديث الفتنة: «هدنة على دخن»، و قوله: «بعثت في نفس الساعة»، و قوله: «كل أرض بسمايتها»، و قوله: «يا خيل الله اركبي»، و قوله: «و لا ينتطح فيها عنزان»، و قوله لأنجشة: «رويدك رفقااً بالقوارير»، و قوله في يوم بدر: «هذا يومٌ له ما بعده» (المصدر السابق، ص ٢٢٦ و ٢٢٧). هذه الأمثال كثيرة، لو أردنا أن نستقصى في جمعها و شرحها لطلال بنا القول.

و من الواضح أنّ هذه الأمثال الجامعة من خصائص الفصاحة و أسمى مراتب البيان لاقت ما تستحقّ من عناية كريمة، إذ أقبل عليها العلماء و الباحثون جمعاً و تفسيراً و شرحاً، و تبيان مضاربيها و وجوه البلاغة فيها، و خصّها بعضهم بمصنفات مستقلة، أو بفصول في كتبهم.

و من الكتب التي أُفردت لها «المجازات النبوية» للشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ.ق.)، و «شهاب الأخبار في الحكم و الأمثال و الآداب» لأبي عبدالله القضاعى (ت ٤٥٤ هـ.ق.)، و «الأمثال النبوية» لمحمد الغروى.

أمّا الكتب التي أُفردت لها فصولاً خاصّة، فمنها «البيان و التبيين» للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ.ق.)، و «الأمثال من الكتاب و السنّة» لأبي عبدالله الترمذى (ت نحو ٣٢٠ هـ.ق.)، و «التمثيل و المحاضرة» و «الإعجاز و الإيجاز» لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ.ق.)، و «المستطرف من كلّ فنّ مستطرف» للابشيهى (ت ٨٥٠ هـ.ق.).

### تأثر الشعراء بالأمثال النبوية

و ممّا يجدر بالعباية أنّ للأمثال النبوية أثراً بالغاً في الأدب العربى و خاصة في الشعر، و هذا ناتج عن مدى عمق التأثير الذى أحدثه كلام النبى الأعظم في حياة الشعراء على مرّ العصور. و كما أولع الشعراء بفنّ المدائح النبوية، وانشغلوا به و قدّموه و وضعوه في مقدّمة فنون الشعر، فإنّهم قد تأثروا بالأمثال النبوية الرائعة صوراً و أفكاراً و ضمّنوها في قصائدهم. و في ضوء هذه الملاحظة سنقتصر من هذه الأمثال على نماذج واضحة مألوفة نختار منها الأمثال الآتية:

إذا لم تستحي فاصنع ما شئت: أى من لم يستحي فعل ما شاء، لفظه أمر و معناه الخبر على وجه التوبيخ و التهديد (اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ١/ ص ٧٥ و ٧٦). يُضرب في أهمية الحياء الذى يردع الإنسان عن مواقع السوء. و الحياء شعبة من الإيمان و ملكة أو حالة في النفس توجب انقباضها عن الأعمال القبيحة و تزجها عن المواقف المهلكة. قال بعضهم في هذا المعنى: جعل الحياء وهو غريزة من الايمان و هو اكتساب، لأنّ المستحي ينقطع بحياته عن المعاصى، فصار كالإيمان الذى يقطع بينه و بينها. (الميدانى، ١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ٢١).

قال أبو دلف العجلي في هذا المعنى:

إذا لم تصنّ عرضاً و لم تخش خالقاً      و تستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع  
(اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ١/ ص ٧٦)

و قال أبو تمام الطائى مقتبساً منه:

يعيش المرء ما استحيى بخير      و يبقى العود ما بقى اللحاء  
فلا و الله ما فى العيش خير      و لآ الدنيا إذا ذهب الحياء

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

(أبو تمام، ١٤٢١هـ.ق: ج ٢/ ص ١٢٩)

الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ: هذا حديث شريف، و تمامه: «فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف» (السيوطي، بلاتا: ج ١/ ص ١٢٢ و ١٢٣). يُضرب في التحابّ و المودّة و هذا إخبار بأنّ بين الأرواح تارة تناسباً باطنياً يوجب الائتلاف و التوافق و تارة تبايناً يوجب الوحشة و الاختلاف بإذن الله تعالى، و فائدة الحديث إعلام بأنّ الجنس مع الجنس أميل و إليه أشوق و التعارف ممّا يجرّ الائتلاف و بالعكس.

أخذ ذلك ابونواس فقال:

إنّ القلوبَ لأجنادٌ مجنّدة      لله في الأرضِ بالأهواءِ تأتلفُ  
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ      و ما تناكرَ منها فهو مختلفٌ

(أبونواس، ١٤١٢هـ.ق: ص ٢٧٧)

و اقتبس منه ابن الأحدب الطرابلسي أيضاً فقال:

كانت جنوداً جُنّدتْ أرواحنا      حسبَ الذي أفاده مصباحنا  
فما يرى منها تعارفٌ ائتلفُ      و ما يرى منها تناكرٌ اختلفُ

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٩٨)

إشددى أزمة تنفرجي: الأزمة: السنة المجدية، و معنى المثل: أن الشدة إذا تابعت انفرجت و إذا توالى تولت (ابن الاثير، ١٣٦٤ هـ.ش: ج ١/ ص ٤٧)، و أن اشتداد الأمر دليل على انتهائه، و انقلابه إلى ضده و هو الفرج. يُضرب المثل في تأكيد أهمية الصبر في سبيل الوصول إلى الطمأنينة و الراحة. و مما يتناغم مع هذا الحديث الشريف، ماورد في القرآن الكريم: «إنّ مع العسر يسراً» (الانشراح، ٦)، و من جميل ما روى عن النبي (ص) أيضاً في هذا الصدد أنّه قال: «أضيق الأمر أدناه من الفرج» (القمي، بلاتا: ج ٢/ ص ٣٥٣)، كما قال الإمام علي (ع) في هذا المعنى: «عند تناهي الشدة تكون الفرجة». (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ.ق: ص ٥٣٦)

لقد اقتبس ابن النحوي قائلاً:

اشتددى أزمة تنفرجي      قد آذن ليلىك بالبلج  
و ظلام الليل له سُرجٌ      حتّى يغشاه أبو السُّرج

(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٠٥)

كما ضمّن شاعر قول النبي الموافق للمثل فقال:

إذا تضايقَ أمرٌ فانتظرُ فرجاً فأضيقُ الأمرُ أدناءً إلى الفرج  
(المصدر نفسه)

و من جيّد ما قيل في هذا المعنى، قول أبي تمام الطائي:

و ما مِن شِدَّةٍ إلا سيأتى لها مِن بعدِ شدِّتها رخاءُ  
(ابو تمام، ١٤٢١هـ.ق: ج ٢/ ص ١٢٩)

أفرخَ رَوْعَكَ: أى زال ماكنت ترتاع له و تخاف منه، و انكشف عنك الفزع، و أصله خروج  
الفرخ من البيضة. يقال: أفرخت البيضة، اذا انفلقت عن الفرخ فخرج منها (الميداني، أحمد،  
١٣٧٤هـ.ق: ج ٢/ ص ٨١). يُضرب لمن يُدعى له أن يسكن جأشه و اضطرابه. قيل: يرتبط هذا  
التعبير بمعاوية، و لكن العسكري نفى الصحّة عن هذا القول و أثبت أن المثل للنبيّ (ص).<sup>٢</sup>

قال عمر بن أبي ربيعة:

فقالَتْ و قد لانتْ و أفرخَ رَوْعُها كلاكَ بحفظِ ربُّكَ المتكبرُ  
(الزمخشري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٢٦٧)

واقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

أفرخَ يا سامي المعالي رَوْعُكا و عادَ ما ترجوه وَهُوَ طَوْعُكا  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ٦٤)

إنّ الميِّتَ ميِّتُ الأحياء: قاله النبيّ (ص) في صفة الجاهل بأنّه ميِّت و إن كان حيّاً  
بحياة حيوانية. و المثل من الحديث الشريف: «ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بميِّتٍ إنّما الميِّتُ  
ميِّتُ الأحياء» (الطوسي، بلاتيا: ج ١/ ص ٣١٦). يُضرب لكلّ جاهل ضالّ عن الايمان و  
جائر عن الأحكام.

لقد تأثر عدىّ بن الرعلاء بالحديث فقال:

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بميِّتٍ إنّما الميِّتُ ميِّتُ الأحياء  
(ابوهلال العسكري، ١٤١٩هـ.ق: ص ٣١٥)

و من أحسن ما قيل في هذا المعنى قول أبي العتاهية:

منَ النَّاسِ ميِّتٌ وَهُوَ حيٌّ بذكره و حيٌّ سليمٌ وَهُوَ في النَّاسِ ميِّتٌ  
(ابوالعتاهية، ١٤٢٥هـ.ق: ص ٧٤)

و قال البطلبيوسيّ النحويّ:

أخو العلم حىّ خالدٌ بعد موتِهِ      و أوصالُهُ تحت الترابِ رميمٌ  
و ذوالجهل ميّتٌ وهُوَ ماشٍ على الثرى      يُظنُّ من الأحياء وهُوَ عديمٌ

(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ٩٤)

إنَّ منَ البيانِ لسحراً: أوَّل من لفظ به النبي الأعظم (ص)، و معناه أن بعض البيان يعمل عمل السحر، وأنَّ السحر هو إظهار الباطل في صورة الحقِّ، والبيان هو اجتماع الفصاحة و البلاغة و ذكاء القلب مع اللسان، و إنَّما شُبِّهَ بالسحر لحدَّة عمله في سامعه و سرعة قبول القلب له (الميداني، ١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ٧). و أوَّل الحديث: «إنَّ منَ الشعرِ لحكمة» (الثعالبي، ١٩٨٣م: ص ٢٧). يُضرب في استحسان المنطق و إيراد الحجة البالغة.

قال أبو هلال العسكري في تفسير هذا المثل:

و قد أجمع أهل البلاغة على أنَّ تصوير الحقِّ في صورة الباطل، و الباطل في صورة الحقِّ من أرفع درجات البلاغة، و أنَّ البليغ يبلغ بيانه ما يبلغ الساحر بلطافة حيلته في سحره، فلذلك لا نعرف في الحديث كلاماً أحسن من هذا (ابوهلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ١٤ و ١٥).

والرافعي عند ما يتحدَّث عن بيان النبي البديع الذي امتاز به كلِّ بلغاء الدُّنيا، يقول:

و بذلك يؤوَّل قوله: إنَّ منَ البيانِ لسحراً، جعل نوعاً من البيان هو السحر، لا البيان كلِّه، فالحديث كالنصِّ على ما تسمَّيه الفلسفة الأوربيَّة اليوم بالبيان الفنِّي، كأنَّه قال: إنَّ منَ البيانِ فنًّا هو سحر من عمل النفس في اللغة تغيُّر به الأشياء و له عجب السحر و تأثيره و تصرفه، و هذا معنى لم يتنبَّه إليه أحد، و لا يُذكر معه كلُّ ما قالوه في تأثيرات الحديث، و بذلك التأويل يكون هذا الحديث قد احتوى أسمى حقيقة فلسفيَّة للفنِّ (الرافعي، بلاتا: ج ٣/ ص ٢٠ و ٢١).

أمَّا الدكتور ابراهيم السامرائي فيقول في هذا الصدد:

و المثل يطلعنا على الدرجة الرفيعة التي بلغها البيان العربي في عصر الرسول (ص) و إعجاب الرسول (ص) بالبلاغة و البيان، حتى قال عنها إنَّ تأثيرها بالسامع كتأثير السحر في العقول (السامرائي، بلاتا: ص ٤٨).

قال بعض المهالبة في المعتمد:

سيبقى فيك ما يُهدى لسانى      إذا فنيتُ هدايا المهرجان  
قصائدُ تملأُ الآفاق مَما      أحلَّ اللهُ مِن سحر البيان

(أبو هلال العسكري، الحسن، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ١٥)

البلاءُ موكلٌ بالمنطق: قاله رسول الله (ص). يُضرب في التحذير من خطر اللسان و ما قد يجره



على صاحبه من المصائب (المصدر السابق، ج ١ / ص ٢٠٧). و من الواضح أن البلاء ليس موكلًا بالمنطق فحسب، بل كل الجوارح تجلب لصاحبها البلاء و المحنة و الويل، و لكن آفات اللسان كثيرة جداً و للمنطق ما ليس لبقية الأعضاء من بلاء؛ لذلك نطق به القرآن و الحديث، كما أن الله عز وجل قد حذر من كل لفظة قول بقوله تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» (ق، ١٨) و قال النبي (ص): «إن كان في شيء شؤم ففى اللسان» (القمي، عباس، بلاتا: ج ٢ / ص ٥٩٥). أمّا الامثال فى هذا المجال و افرة و فرة مفرطة، منها: «رُبَّ رأس حصيد لسان» و «طعن اللسان أنفذ من طعن السن» و «اللسان أجرح جوارح الإنسان». (خلايلي، ١٩٩٨م: ص ٢٣٠)

هذه الكلمات تدل على مخاطرات اللسان المحدقة بالإنسان و التى لا يُستهان بها، فلا بد للإنسان أن يكون على حذر من فلتات لسانه، و يحافظ عليه دوماً بأن يترك ما لا يعنيه و يقول ما ينبغى و ترجى منفعتة، و يولى هذا الأمر عناية كبيرة حتى يسلم من آفاته الموبقة و يأمن من تبعاته الخطيرة.

قد اقتبس الطرابلسي هذا المثل فقال:

لا تكثر الكلام فى ما لا يقى      إن البلاء موكل بالمنطق  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١ / ص ١٨)

و قال غيره متأثراً به:

إحفظ لسانك أن تقول فتبتلى      إن البلاء موكل بالمنطق  
(الابشيهي، بلاتا، ج ١ / ص ٨٢)

تربت يداك: ترب الرجل: افتقر حتى لصق بالتراب. يضرب فى الدعاء على الرجل بالفقر، و قيل: إنها كلمة جارية على السن العرب، يقولونها، و هم لا يريدون بها الدعاء على المخاطب و لا وقوع الأمر بها. و قيل: معناها لله درك (ابن منظور، محمد، ١٤١٣هـ، ج ٢، ٢٣). و المثل جزء آخر من الحديث النبوى الشريف: «عليك بذات الدين تربت يداك» (ابن الأثير، ١٣٦٤ هـ.ش: ج ١ / ص ١٨٤). قال سليمان بن ربيعة:

تربت يداك و هل رأيت لقومه      مثلى على يسرى و حين تعلقتى  
(الزمخشري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ٢، ص ٢٣)

و قد تأثر به الطرابلسي فقال:

فتربت يداك يا راجيه      و بت من مكروهه فى تيه  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١ / ص ١١٠)

الجارُّ ثمَّ الدَّارُ: حديث نبوي شريف، ومعناه إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها (الميداني، ١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ١٧٢). اشتهر في أوساط العامة والخاصة مع تنوع طفيف في لفظه، يُضرب في تبيان أهمية اختيار الجار الجيد، قبل اختيار مبني الدار التي يُنوي أن يُقطن فيها. وفي الحديث النبوي: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» (السيوطي، بلاتنا: ج ٢/ ص ١٧٩)، وفيه أيضاً من رواية ابن مسعود: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ الْعَبْدُ حَتَّى يَسَلِّمَ قَلْبَهُ وَلسَانَهُ، وَ يَأْمَنَ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ»، قالوا: ما بوائقه؟ قال: «غشمه و ظلمه» (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨هـ.ق: ج ١٧/ ص ٨). و ممَّا يجدر بالعناية أن حسن الجوار ليس بالإحسان إلى الجار و كف الأذى فحسب، و لكنَّ حسن الجوار يقتضي تحمُّل الإساءة و الإعانة و الصبر على الأذى. و المثل رُوي أيضاً بلفظ «الجارُّ قبل الدَّار» (الزمخشري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٣٠٨). و مثله قول النبي (ص) «الرفيقُ قبل الطريق»، و الذي سيأتي في مكانه.

قال العطوي:

يقولون قبل الدَّار جاراَ موافقاً      و قبل الطريق النهج أنس رفيق  
فقلتُ وندمان الفتى قبل كأسه      فما حثَّ كأس المرء مثلُ صديق

(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٧)

وأخذه أبو تمام فقال يمدح أحمد بن أبي دواد الإيادي:

مَنْ مُبْلَغُ أَفْنَاءَ يَعْرُبُ كُلَّهَا      أَنِّي ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ

(ابوتمام، ١٤٢١هـ.ق: ج ٢/ ص ١٥)

و قد اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

الجارُّ ثمَّ الدَّارُ يَا خَلِيلِي      فَاخْتَرْتُ تَكُنْ ذَا سَوْدٍ أُنَيْلِي

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١/ ص ١٤٥)

حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْمَى وَيُصِمُّ: قاله رسول الله (ص)، و معناه أن حبَّ الانسان لشيء ما يعميه عن مساويه و عيوبه، و يصمّه عن استماع العذل فيه (ابوهلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٣٥٦). يُضرب في الحذر من اتباع الهوى و ما يؤمر به من اجتنابه. رواه الشريف الرضي قائلاً: و هذا مجاز، لأنَّ الحبَّ للشيء على الحقيقة لا يعمى و لا يصمُّ، و إنّما المراد أن الانسان إذا أحبَّ الشيء أغضى من مواضع عيوبه كأنه لا ينظرها، و أعرض عن الملاوم و المعاتب من أجله كأنه لا يسمعها، فصار من هذا الوجه كالأعمى لتغاضيه و الأصم لتغايبه (الغروي، محمد، ١٤٠١هـ.ق: ج ١/ ص ٣٤٨). و يقال في المعنى نفسه: «إنَّ الهوى شريكُ العمى» (الميداني،

عليرضا ميرزامحمد ١٢٧

١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ٧٨). و «الحبُّ ستارُ العيوب» (ابوعلى، ١٤٢٠هـ.ق: ص ٢٠٢)، كما قيل في المثل ما لا يُحصى من الشعر إمّا بلفظه أو معناه. قال البوصيري في معنى المثل:

محضتني التصح لكن لست أسمعُهُ      إنَّ المحبَّ عن العُدال في صَمِّمِ  
(اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ٧٨)

و قد أخذهُ الطرابلسي فقال:

ولا تكن من حُبِّه الشَّيءَ غداً      يُعميه أو يصمُّه إذا بدأ  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١/ ص ١٦٢)

و قد تأثر به معروف الرصافي قائلاً:

ما العشق إلَّا العمى عن عيبٍ من عشقتُ      هذي القلوبُ و لا أعنى عمى البصرِ  
(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٣٨)

و قد قيل أيضاً في هذا المعنى:

خرجتُ غداة النحر أعترضُ الدُمي      فلم أرَ أحلى منك في العين و القلبِ  
فوالله ما أدري أحسنُ رزقيته      أم الحبُّ يعمى مثلما قيل في الحبِّ  
(ابو هلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ق ٣٥٦)

حدّث عن البحر ولا حرج: معناه أن المحدث عنه لا يضيق عليه المجال و لا يُعوّزُهُ مقال (اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ٨٣)، و ذلك لما فيه من الغرائب و العجائب و عظيم مخلوقات الله تعالى و بديع مصنوعاتِه. يُضرب في الشَّيء الكثير الذي لا ينحصر أو لا يكاد. قال الشريف المرتضى:

مولاي يا بدر كل داجية      خذ بيدي قد وقعت في اللجج  
حسنك ما تنقضي عجائبه      كالبحر حدّث عنه بلا حرج  
(الشيبي، ٢٠٠٣م: ص ٢٦٠)

و قد تأثر به الطرابلسي فقال:

حدّث عن البحر و معن لا حرج      وَهُوَ مليكنا الذي أحيا المُهَجَّ  
(الطرابلسي، ابراهيم، ١٣١٢هـ.ق: ج ١/ ص ١٧٢)

جمع الشاعر في هذا البيت بين المثلين النبوي و الآخر، و هو «حَدَّثَ عَنْ مُعْنٍ وَ لَاحِرَجٍ» (ابوعلى، محمد، ١٤٢٠هـ.ق: ص ٣١)، ثم اقتبسهما فيه. و المقصود بـ (معن) هنا: معن بن زائدة بن عبدالله الشيباني من أشهر أجواد العرب.  
أما ابن اللبابة فإنه أشار إلى المثل في هذا البيت:

و أَعْوًا حَدِيثَ الْبَحْرِ عِنْدَ حَدِيثِهِ فَكَمْ بَيْنَ ذِي مَدٍّ وَ كَمْ بَيْنَ ذِي جِزْرِ

(اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ٨٣)

وقال ابن التكريتي في ابن الدّهان و كان مُخْلًا بِأَحَدِي عَيْنِيهِ:

لَا يَعْبُدُ الدَّهَّانُ أَنْ ابْنَهُ      أَدَهْنُ مِنْهُ بِطَرِيقَيْنِ  
مِنْ عَحْبِ الْبَحْرِ فَحَدَّثَ بِهِ      بِفَرْدِ عَيْنٍ وَ بِوَجْهَيْنِ

(الشيبي، ٢٠٠٣م: ٢٦٠)

حوالينا و لا علينا: يُتَمَثَّلُ بِهِ كَثِيرًا، و هو من كلام النبي (ص) حين استصحى، فقال: «اللهمَّ حَوَالِينَا وَ لَاعِلِينَا»، أى أنزل المطر حوالينا و لا تنزله علينا، و الحديث مشهور (اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ١١٧). أما أصل المثل أن أعرابياً جاء إلى النبي (ص) فقال: والله يا رسول الله لقد أتيناك و ما لنا بعير يَأْطُ و لا غنم يَغَطُّ، فقال رسول الله (ص) للصحابة: إنَّ هذا الأعرابي يشكو قلة المطر و قحطاً شديداً. ثم قام و صعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه و رفع يديه إلى السماء و قال: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً غدقاً طبقاً عاجلاً غير واثت نافعاً غير ضارٍّ، تملأ به الزرع و تثبت الزرع و تحيي الأرض بعد موتها. فما ردَّ يده إلى نحره حتى أهدق السحاب بالمدينة كالأكليل، و التقت السماء بأرواقها و جاء أهل البطاح يضحجون: يا رسول الله الغرق الغرق. فقال رسول الله (ص): «اللهمَّ حَوَالِينَا وَ لَاعِلِينَا».<sup>٣</sup>

قال صاحب بن عبّاد:

أَقُولُ وَ قَدْ رَأَيْتُ لَهَا سَحَابًا      مِنْ الْهَجْرَانِ مَقْبَلَةَ إِلَيْنَا  
وَ قَدْ سَحَّتْ عَزَالِيهَا بِهَاطِلٍ      حَوَالِينَا الصَّدُودُ وَ لَاعِلِينَا

(اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ١١٧)

الخلقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ: هذا المثل جزء من الحديث النبويّ، و تتمّته: «فَأَحْبِبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ» (الغروي، ١٤٠١هـ.ق: ج ١/ ص ٣٩٢). يُضْرَبُ فِي تَسَاوِي الْبَشَرِ أَمَامَ عَدَالَةِ الْخَالِقِ. أخذهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

الخلق كلُّهم عيالٌ اللهُ تحتَ ظلالِهِ فَأَحَبُّهُمُ طُرّاً إِلَيْهِ أْبْرَهُمُ بِعِيَالِهِ  
(ابوالعناهيّة، ١٤٢٥هـ.ق: ص ٣٢٧).

قال صفى الدين الحلّى فى رثاء القاضى ابن وشاح مستمداً بعض مفرداته:

كان للنّاس جميعاً كفيلاً فكأنّ الخلق كانوا عيالاً  
(صفى الدين الحلّى، بلاتا: ص ٣٧٠)

و قد اقتبسهُ الطرابلسى قائلاً:

الخلق كلُّهم عيالٌ اللهُ مَنْ يَنْفَعُهُمْ أَحَبُّهُمْ لَهُ مَنْ  
(الطرابلسى، ابراهيم، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٩٩)

خيرُ الأمور أوسطُها: معناه أنّ كلّ خصلة محمودة لها طرفان مذمومان كالسخاء مثلاً، فإنّه وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة، فإنّها وسط بين الجبن والتهوّر (الغروى، ١٤٠١هـ.ق: ج ١/ ص ٣٩٣). اشتهر المثل فى أوساط العامة والخاصة. يُضرب فى الحثّ على توسط الأمور والاعتدال فيها، أو فى التمسك بالاعتدال. ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قوله تعالى: «و لا تجعل يدك مغلولةً إلى عُنقك و لا تبسطها كلّ البسطِ» (الاسراء، ٢٩)، وقد قيل فى التأكيد على اتّخاذ التوسط فى الأمور هذه الكلمات الطريفة: «الحسنة بين السيئتين» (الميدانى، احمد، ١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ٢١٤) و «عليك بالقصد بين الطريقتين» و «لامنع و لا إسراف، و لا بخل و لا إتلاف» و «لا تكن رطباً فتعصر، و لا يا بساً فتكسر» و «لا تكن حُلواً فتستترط، و لا مرّاً فتلفظ». (الثعالبي، ١٩٨٣م: ص ٤٢٩). و ممّا يناسب هذا المقام أيضاً قول القائل: «لكلّ شىء طرفان و وسط، فى طرفه الأوّل شعبة من التقصير، و مع الأخير بعض الإفراط، و خيره وسطه» (أبو هلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٢٠). أمّا الجاحظ عندما عقد النية على تقييم المثل قال: ينبغى للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير، حائطاً لا يبلغ البخل، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، حياً لا يبلغ العجز، ماضياً لا يبلغ القحّة، قوياً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العى، حليماً لا يبلغ الذلّ، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البلادة، نافذاً لا يبلغ الطيش. قال: ثمّ وجدت رسول الله (ص) جمع ذلك فى كلمة واحدة، و هى قوله: «خير الأمور أوسطها»، و ما ذلك إلاّ لأنّه أوتى جوامع الكلم (اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ٢/ ص ١٦٢). نعم، هذا ضرب عزيز من الكلام، و هو يعدّ من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثله فى حسن بلاغته، و قوّة دلالاته، و جمال أسلوبه، و غرابة الفريحة اللغوية فى تأليفه، و لذلك يحتديه البلغاء و يطبعون على قلبه.

١٣٠ دراسة في الأمثال النبوية و أثرها في الشعر العربي

قال الشاعر:

عليك بأوساطِ الأمور فإنَّها      نجاةٌ ولا تركبُ ذلولاً ولا صعباً  
(الجاحظ، ١٤١٩هـ.ق: ج ١/ ص ١٧٤)

قال ابوالعلاء المعري في هذا المعنى:

إذا كنتَ تبغى العيشَ فابغِ توسّطاً      فعندَ التَّنَاهي يقصرُ المتطاولُ  
توقّي البدورَ النقصَ وهَيَّ أهلةً      و يدركُها النقصانُ وهَيَّ كواملُ  
(الابشهي، بلاتا: ج ١/ ص ٧٠)

و قد اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

كنُ وسطاً في القصدِ فالأمورُ      أوساطُها خيرٌ أيا بشيرُ  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ: ج ١/ ص ٢٠٠)

و إلى هذا أشار بعض الشعراء بقوله:

حبّ التَّنَاهي غلظُ      خيرُ الأمور الوسطُ  
(جام نامقي، ١٣٥٠ هـ.ش: ص ٣٣٨)

و قال شاعر آخر مستمداً بعض مفرداته:

و خيرُ خلائق الأقسام خُلُقُ      توسّطُ لا احتشامُ ولا اغتناما  
(التعالبي، ١٩٨٣م: ص ٤٢٩)

و ما أحسن قول بعضهم في هذا المقال:

لو لم يكنُ أحسنَ الأشياءِ أوسطُها      ما اختارتِ الشَّمسُ من أفلاكها وسَطاً  
(الشبيبي، محمد، ٢٠٠٣م: ١١٥)

و قال ابن الوردى في هذا المعنى:

بينَ تبذيرٍ و بخلٍ رتبة      و كِلا هذين إن دامَ قتلُ  
(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٧٢)

كما قال أبو سليمان الخطّابي فيه:

و لا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ و اقتصدُ      كِلا طرفي قصدِ الأمور ذميمُ  
(التعالبي، ١٤٢٠هـ.ق: ج ٤/ ص ٣٨٥)

عليرضا ميرزامحمد ١٣١

الرَّفْقُ يَمُنُّ وَ الْخُرْقُ سُؤْمٌ: الرِّفْقُ: ضِدُّ الشَّدَّةِ وَ الْقِسَاوَةِ وَ هُوَ لِينُ الْجَانِبِ وَ الرَّأْفَةُ وَ تَرَكَ الْعَنْفَ فِي فِعْلٍ وَقَوْلٍ، وَالْخُرْقُ: الْعَنْفُ يَضَاهُ وَ هُمَا مُتَقَابِلَانِ لَا يَجْهَلُهُمَا أَحَدٌ (الغُرُوبُ، ١٤٠١هـ.ق: ج ١/ ص ٤٤٦). وَ الْمَثَلُ مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ (ص)، يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ بِالرَّفْقِ وَ الْمَدَارَاةِ وَ النَّهْيِ عَنِ سُوءِ التَّنْدِيرِ. وَ أُجْمِعُ آيَةً لِلْأَمْرَيْنِ: «أَشَدُّاءُ عَلَيَّ الْكُفَّارُ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الْفَتْحُ، ٢٩). أَخَذَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ:

وَإِنَّ الرَّفْقَ فَيَمَا قَيْلَ يَمُنُّ      وَإِنَّ الْخُرْقَ فِي الْأَشْيَاءِ سُؤْمٌ

(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٦٩)

وَ قَدْ اقْتَبَسَ مِنْهُ أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِيُّ فَقَالَ:

وَرَافِقُ الرَّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمَّ      يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَ لَمَّ يَنْدُمُهُ نَدْمَانُ  
وَ لَا يَغْرُكُ حَظُّ جَرِّهِ خُرْقٌ      فَالْخُرْقُ هَدْمٌ وَ رَفْقُ الْمَرْءِ بِنِيَانُ

(البستي، ٢٠٠٨م: ص ٣٥٨)

وَ قَدْ تَأَثَّرَ بِهِ الطَّرَابِلْسِيُّ قَائِلًا:

الرَّفْقُ يَمُنُّ أَبَدًا وَ الْخُرْقُ      سُؤْمٌ بِهِ يَسُوءُ مِنْكَ الْخُلُقُ

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١/ ص ٢٥٨)

أَمَّا النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي فَإِنَّهُ جَمَعَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

الرَّفْقُ يَمُنُّ وَ الْأُنَاةُ سَعَادَةٌ      فَاسْتَأْنُ فِي رَفْقٍ تُتَلَقُّ نَجَاحًا

(البكري، ٢٠٠٣م: ص ٢٤٠)

فَقَوْلُهُ: «الرَّفْقُ يَمُنُّ» مِثْلُ، وَ «الْأُنَاةُ سَعَادَةٌ» مِثْلُ ثَانٍ، وَ قَوْلُهُ: «فَاسْتَأْنُ فِي رَفْقٍ» مِثْلُ ثَالِثٍ، وَ تَمَّ الْمَعْنَى وَ حَسَّنَهُ بِقَوْلِهِ الْأَخِيرِ: تَلَقُّ نَجَاحًا. الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ: أَيِ التَّمَسُّ الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ (المصدر السابق، ص ٢٨١). وَ الْمَثَلُ قَالَهُ النَّبِيُّ (ص)، وَ مَعْنَاهُ: ابْحَثْ عَنِ رَفِيقِ سَفْرِكَ وَ امْتَحِنْهُ قَبْلَ اصْطِحَابِكَ أَيَّاهُ فَرَبِّمَا لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لَكَ وَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَبَدَّلَ بِهِ غَيْرَهُ. وَ الْمَثَلُ مُتَدَاوِلٌ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ؛ يُضْرَبُ فِي أَهْمِيَّةِ اخْتِيَارِ الرَّفِيقِ فِي السَّفَرِ خُصُوصًا، وَ فِي الْحَيَاةِ عُمُومًا. قَدْ رَوَى أَيْضًا عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) وَ لَفْظُهُ «سَلُّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ» (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ.ق: ص ٤٠٥)، وَ مِثْلُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ (ص): «الْجَارُ ثَمَّ الدَّارُ»، كَمَا ذَكَرْنَا آنفًا.

قال العطوى مقتبساً منه:

يقولونَ قبلَ الدَّارِ جارٌ موافقٌ      و قبلَ الطَّرِيقِ النَّهْجُ أنسُ رفيقٌ  
(خليلى، ١٩٩٨م: ص ١٧)

و قد تأثر به الطرابلسي فقال:

قبلَ الطَّرِيقِ حصَلُ الرفيقا      فربَّما تلقى بها مَضيقاً  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١/ ص ٢٥٧)

زُرُّ غَيْبًا تَزْدَدُ حَيْبًا: الغبُّ من أورد الابل، أن ترد الماء يوماً و تدعه يوماً ثم تعود (ابن الاثير، ١٣٦٤هـ.ش: ج ٣/ ص ٣٣٦)، و قد استعيرها للزيارة. لذلك قيل أن الغب في الزيارة، أن تزور يوماً و تدع الزيارة يوماً، أو تزور كل أسبوع، كما يقال: غب الرجل إذا جاء زائراً بعد أيام، أو زار الحين بعد الحين (يعقوب، ١٤١٥هـ.ق: ج ٤/ ص ١٤٧). والمثل قاله النبي (ص)، معناه: لا تكثروا الزيارات واجعلوا بينها فاصلاً زمنياً، تزدادوا حباً، و هو يُضرب في أدب الزيارة. و ممَّا تجدر الإشارة إليه أن الإكثار من الزيارة و الإفراط فيها يوجب السامة و الملل، والإقلال منها جدًّا و الإفراط في الغيبة و القطيعة يوجب الوحشة و التباغض، فالمحمود هو التوسط، و معناه أن قلّة الزيارة أمان من الملامة و موجب للمحبّة و دوام الوصلة.

قال عمر بن الوردى مخاطباً ولده:

غِبْ، و زُرْ غَيْبًا تَزْدُ حَيْبًا فَمَنْ      أَكْثَرَ التَّزْدَادَ أَقْصَاهُ الْمَلَلُ  
(الهاشمي، ١٣٨٤هـ.ق: ج ٢/ ص ٤٣٧)

قال بعض الشعراء مقتبساً منه:

و قد قال النبيُّ و كانَ بَرًّا      إذا زرتَ الحبيبَ فزره غَيْبًا  
(ابوهلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٥٠٥)

و قال شاعر آخر:

إذا شئتَ أنْ تُقْلَى فُزِرْ متتابعاً      و إنْ شئتَ أنْ تَزْدَادَ حَيْبًا فُزِرْ غَيْبًا  
(البيوسي، ٢٠٠٣م: ج ٣/ ص ١١٢)

و قال غيره مستمدًّا بعض مفرداته:

عليكَ بِأَغْبابِ الزَّيْارَةِ إنَّهَا      إذا كَثُرَتْ كَانَتْ إلى الهَجْرِ مَسْلُكًا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطْرَ يُسَامُ دَائِمًا      و يسألُ بالأيدي إذا هوَ أَمْسُكًا  
(الميداني، ١٣٧٤هـ.ق: ج ١/ ص ٣٢٣)



عليرضا ميرزامحمد ١٣٣

و قال ابو العتاهية في هذا المعنى:

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل  
هجرانه فيلج في هجرانه  
(ابوالعتاهية، ١٤٢٥هـ.ق: ص ٣٩٩)

وللحريري في المقامة الخامسة عشرة من مقاماته:

لا تزُر مَنْ تحبُّ في كلِّ شهر  
غيرَ يومٍ و لا تزُدُّه عليه  
فاجتلاء الهلال في الشهر يومٌ  
ثمَّ لا تنظرُ العيونُ إليه  
(الحريري، ١٣٦٤ هـ.ش: ١٢٨)

و ممَّا يناسب هذا المقام قول القائل:

عائبٌ أخاك و لا تكثيرُ ملالتَهُ  
و زُرْ صديقك رسلاً بعد تغيب  
(المصدر السابق، ص ٢٨٢)

وقد اقتبسه الطرابلسي فقال:

و غيب و زُرْ غيباً لمن تهواه  
تزدد له حبا كما ترضاه  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١ / ص ٢٦٩)

السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيره: أي إنَّ السَّعِيدَ من اعتبر بما لحق غيره من المكروه، فيجتنب الوقوع في مثله (يعقوب، ١٤١٥هـ.ق: ج ٤ / ص ١٧٩). يُضْرَبُ في وجوب الاعتبار والأمر بحسن التدبير. وقد روى المثل أيضاً عن الامام علي (ع)، كما قال في معناه: «اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعَظَ بِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ» (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ.ق: ص ٧٦). وفي الحديث الصادقي: «ما كلُّ مَنْ أَرَادَ شيئاً قدرَ عليه، و لا كلُّ مَنْ قَدَرَ على شيءٍ وفقَ له، و لا كلُّ مَنْ وفقَ أصاب له موضعاً، فإذا اجتمع النَّيَّةُ و القدرةُ و التوفيقُ و الاصابةُ، فهناك تجبُ السَّعادةُ» (القمي، بلاتا: ج ١ / ص ٦١٨). نعم، هذا يدلُّ على كفاية الحصول على السعادة و أنَّ السَّعِيدَ هو الموفق المصيب ذو النَّيَّةِ و القدرة. أخذهُ الطرابلسي فقال:

فَهَلْ بِهِ يوعظُ مَنْ يَكونُ فَعظُ  
إنَّ السَّعِيدَ مَنْ بغيره اتَّعَظِيمُ  
(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ١ / ص ٢٨٩)

و قال الحارث بن كلدة الثقفي:

إنَّ السَّعِيدَ لَهُ في غيره عظةٌ  
و في التجاربِ تحكيمٌ و معتبرٌ  
(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ٣٧٠)

الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى: أى إنَّما يحمَدُ صَبْرُ من صَبَرَ عِنْدَ حَرَارَةِ المَصِيبَةِ (الزَمخْشَرى، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٣٢٧)، لأنَّ مَفْاجِئَةَ المَصِيبَةِ بَغْتَةً لَهَا رُوْعَةٌ تَزْعِزِعُ القَلْبَ وَتَزْعِجُهُ، فَمَنْ يَصْبِرُ عِنْدَ وَقُوعِهَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الأَجْرَ الجَزِيلَ لكَثْرَةِ المَشَقَّةِ حِينَئِذٍ، ثَمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَهْوَنُ الأَمْرُ وَتَتَكَسَّرُ حِدَّةُ المَصِيبَةِ وَتُضَعَفُ قُوَّتُهَا. نَعَمَ إِذَا طَالَتِ الأَيَّامُ عَلَى المَصَائِبِ وَقَعَ السَّلْوُ وَصَارَ الصَّبْرُ طَبْعاً، وَقد بَشَّرَ اللهُ الصَّابِرِينَ بِثَلَاثِ كَلِّ مِنْهَا خَيْرِ مِمَّا عَلَيْهِ أَهْلُ الدُّنْيَا قُضِيَ: «وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مَصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: / ١٥٥ و ١٥٧). يُضْرَبُ المِثْلُ فِي مَنْ يَكُونُ رَابِطَ الجَأْشِ عِنْدَ فُورَةِ الرِّزْيَةِ، وَهُوَ يُسْتَعْمَلُ مَجَازاً فِي كُلِّ مَكْرُوهٍ وَقَعَ بَغْتَةً.

و قد نظم الفقيه عمارة اليمنى هذا المثل بمطلع مرثية فقال:

هِيَ الصَّدْمَةُ الْأُولَى فَمَنْ بَانَ صَبْرُهُ عَلَى هَوْلٍ مَا يَلْقَى تَضَاعَفَ أَجْرُهُ

(الشيبى، ٢٠٠٣م: ص ١٥٦)

كَأدَّ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كَفْرًا: مَعْنَاهُ أَنَّ الفَقْرَ مَعَ الاضْطِرَارِ إِلَى مَا لَا يَدَّ مِنْهُ يَمْكَنُ أَنْ يَوْقِعَ صَاحِبَهُ فِي الكُفْرِ وَ يَدْفَعُهُ إِلَى الِاعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَجُحُودِ مَا قُضِيَ وَ قَدَّرَ (يعقوب، ١٤١٥هـ.ق: ج ٤/ ص ٥٤٩). وَ المِثْلُ مِنَ المَشْهُورَاتِ الجَارِيَةِ عَلَى ألسِنِ النَّاسِ، وَهُوَ مُتَدَاوِلٌ فِي مَعْظَمِ الأَقْطَارِ العَرَبِيَّةِ وَ الإِسْلَامِيَّةِ. يُضْرَبُ فِي مَقَارِبَةِ الشَّيْءِ الشَّيْءَ وَ أَخَذَهُ شَبْهًا مِنْهُ، أَوْ لَشِدَّةِ تَأْثِيرِ الفَقْرِ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَعْدَرِ الفَقِيرِ إِذَا أَتَى بِشَيْءٍ يَلَامُ عَلَيْهِ.

قال شاعر:

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ العَنِيِّ وَلَمْ أَرْ بَعْدَ الكُفْرِ شَرًّا مِنَ الفَقِيرِ

(التعالبي، ١٩٨٣م: ص ٣٩٥)

كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً: هَذَا القَوْلُ مَجَازٌ لِأَنَّ السَّلَامَةَ عَلَى الحَقِيقَةِ لَيْسَتْ بِدَاءٍ فِي نَفْسِهَا، وَلَكِنْ إِذَا طَالَتْ تَوَدَّى إِلَى مَوْتِ الشَّهْوَاتِ، وَانْقِطَاعِ اللَّذَاتِ، وَ عَوَادِي السَّقَمِ، فَحَسَنَ مِنْ هَذَا الوَجْهِ أَنْ تَسْمَى دَاءً (الغروى، ١٤٠١هـ.ق: ص ٤٣). يُضْرَبُ لَمَّا تَرَوَّقَ زَهْرَتَهُ وَ تَسَوَّءَ مَغْبِتَتَهُ، مِنْ هُنَا جَاءَ الحِذَارُ عَنِ الاغْتِرَارِ بِمَالٍ وَ جَمَالٍ وَ عَافِيَةٍ تَذْهَبُ بِحَمِيٍّ لَيْلَةً بِهَا وَ ذَاكَ بِسَرِقَةِ أَوْ بَكْبَرِ. وَ بِمَا أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ المَوْجِزَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ذَاتِ مَعْنَى خَطِيرٍ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الأَهْتِمَامِ وَ العِنَايَةِ لَدَى الشُّعْرَاءِ فَأَكْثَرُوا نَظْمَ هَذَا المَعْنَى فِي أَشْعَارِهِمْ إِلاَّ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ (ص) أَبْيَهُ وَ أَوْجَزَ وَ أَبْلَغَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَالُوهُ مُطْلَقًا.

قال حميد بن ثور الهلالي:

عليرضا ميرزامحمد ١٣٥

أرَى بصرى قد رابنى بعدَ صحّةٍ وحسبُك داءً أنْ تصحّ و تسلما  
(التعابى، ١٤٠٣هـ.ق: ص ١٤٥)

و قال لبيد بن ربيعة مقتبساً منه:

كانتَ قناتى لا تليّنُ لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ  
و دعوتُ ربّى بالسّلامةِ جاهداً ليصحنّى فإذا السّلامةُ داءُ  
(التعابى، ١٩٨٣م: ص ٦١)

واقتبس منه الطرابلسى فقال:

كفى سلامةُ الفتى داءً يرى حسبَ الذى عن النبى أئرا  
(الطرابلسى، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٩٩)

و قال النمر بن تولب فى هذا المعنى:

يوذُ الفتى طولَ السّلامةِ و الغنى و كيفَ يرى طولَ السّلامةِ تفعلُ  
يردُّ الفتى بعدَ اعتدالِ و صحّةٍ ينوءُ إذا رامَ القيامَ و يُحمَلُ  
(ابوهلال العسكرى، ١٤١٩هـ.ق: ص ٣٨)

كلُّ الصّيدِ فى جوفِ الفراء: الفراء: حمار الوحش، وجمعه: فراء. و فى الحديث: أنّ رسول الله (ص) أخر أباسفيان فى الإذن عليه و أدخل غيره من النّاس قبله، فقال: ماكدت تأذن لى حتّى تأذن لحجارة الجلهتين قبلى، فقال رسول الله (ص): كلُّ الصّيدِ فى جوفِ الفراء (ابن الاثير، ١٣٦٤هـ.ش، ج ١/ ص ٢٩٠)؛ و معناه: إذا حجتك قنع كلّ محجوب و رضى. يُضرب لمن يفضّل على أقرانه، أو فى الواحد الذى يقوم مقام الكثير لعظمه. والمثل قديم و أصله أنّ ثلاثة نفر خرجوا للصّيد، فاصطاد أحدهم أرنباً، و الآخر ظبيّاً، و الثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب و صاحب الظبى بما نالا، و تطاولا على رفيقهما الذى قال هذا المثل مريداً أنّ صيده أعظم من صيدهما، أو بمنزلة كلِّ الصّيد. (الميدانى، ١٣٧٤هـ.ق: ج ٢/ ص ١٣٦؛ يعقوب، ١٤١٥ هـ.ق: ج ٤/ ص ٦٠٩).

و قد اختلّف فى من قال له النبى (ص) هذا المثل، فقال ابن منظور: إنّه ابوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب الذى أراد النبى (ص) أن يتألّفه بهذا الكلام و كان من المؤلّفه قلوبهم (ابن منظور، ١٤١٣هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٤٢). وهذا القول موافق لما قاله السّهيلى و المعرى، ولكنّ المبرّد و الجاحظ جزما بأنّه ابوسفيان بن حرب بن أميّة (الشيبى، ٢٠٠٣م: ص ٣٥٩ و

١٣٦ دراسة في الأمثال النبوية و أثرها في الشعر العربي

٣٦٠). أمّا الآخرون فلم يصرّحوا بأنّه أبو سفيان بن حرب أو أبو سفيان بن الحارث. هذه الكلمة جرت مجرى الامثال و هي موضع العناية و قد عُنِيَ بها الكثير من الشعراء كما قال بعضهم:

عاد إذا عاديّتَ قوماً رأسُهُمْ      فإنَّ كلَّ الصَّيْدِ في جوفِ الفرا

(الشبيبي، ٢٠٠٣م: ص ٣٦٠)

و قد اقتبس ابو الثناء الشيزري من المثل فقال:

يقولونَ كافاتُ الشّتاءِ كثيرة      و ما هي إلا واحدٌ غيرُ مفترى  
إذا صحَّ كافُ الكيسِ فالكلُّ حاصلٌ      لديك، و كلُّ الصَّيْدِ يوجدُ في الفرا

(ابن خلكان، ١٣٩٧هـ.ق: ج ٤/ ص ٤١٣)

وقد أخذَه صفيّ الدّين الحلّي فقال في غلام لا بس سمل فروة:

بَصُرُوا بِفِرْوَكٍ فَازْدَرَوْكَ لِحَالَةٍ      أضحى بها معروفٌ حُسْنِكَ منكرا  
كلُّ أدارِ الطَّرْفِ عنكَ محاولاً      صيداً، و كلُّ الصَّيْدِ في جوفِ الفرا

(صفيّ الدين الحلّي، بلاتا: ص ٤٨٥)

وقد تأثر به الطّرابلسي قائلاً:

فاقصِدْ مليكَ الدّهرِ مرفوعَ الذرّي      فإنَّ كلَّ الصَّيْدِ في جوفِ الفرا

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ١٠٧)

ومما ينشد في معنى المثل قول أبي نواس:

و ليسَ اللهُ بمسْتَنكِرٍ      أنْ يجمعَ العالمَ في واحد

(ابونواس، ١٤١٢هـ.ق: ص ٤٥٤)

كما تَدِينُ تُدَانُ: حديث شريف، جرى مجرى الامثال، و معناه: كما تفعل يفعل بك، و كما تُجَازِي تُجَازَى، أى تُجَازَى بفعلك و بحسب ما عملت، إن حسناً فحسن و إن سيئاً فسيء (ابن منظور، ١٤١٣هـ.ق: ج ٤/ ص ٤٦٠)، يعني إن عملت عملاً حسناً فجزاؤك جزاء حسن، و إن عملت عملاً سيئاً فجزاؤك جزاء سيء. يُضْرَبُ في العدل في المجازاة، أو في الحث على فعل الخير.

قال الميداني: و قوله «تدين» أراد: تصنع، فسُمِّيَ الابتداء جزاء للمطابقة و الموافقة. و على هذا قوله تعالى: «فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» (البقرة / ١٩٤). و يجوز أن يجرى كلاهما على

الجزء، أى كما تجازى أنت الناس على صنيعهم كذلك تُجازى على صنيعك، والكاف فى «كما» فى محلّ النصب نعتاً للمصدر، أى تُدان ديناً مثل دينك. (الميدانى، ١٣٧٤هـ.ق: ج ٢/ ص ١٥٥).  
 و خلاصة القول إن الإنسان مهما يعمل من خير و شرّ يُجزَ به حتّى بمقدار ثقل ذرّة، و الدليل عليه قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (الزلزلة / ٧٨)، أى يرى بالخير خيراً و بالشرّ شرّاً. هذا كما يقال: النَّاسُ مُجْرَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، إنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ و إنَّ شَرًّا فَشَرٌّ» (يعقوب، ١٤١٥هـ.ق: ج ٥/ ص ٥٠٨). و المثل قد استلهم منه جماعة من الشعراء و ركزوا اهتمامهم على تضمينه فى قصائدهم.

قال الشاعر:

أحسنُ و أنتَ معانُ      يا أيُّها الإنسانُ  
 إنَّ الأيادي قروضُ      كما تدينُ تُدانُ

(التعالبي، ١٩٨٣م: ص ٤٣٢)

وقال خويلد بن نوفل الكلابي للحارث بن أبي شمر الغساني، و كان اغتصبه ابنته:

يا حارِ أيقنِ أنَّ مُلكَكَ زائلٌ      و اعلمْ بأنَّ كما تدينُ تُدانُ

(ابن منظور، ١٤١٣هـ.ق: ج ٤/ ص ٤٦٠)

و قد تأثر به أبو العتاهية فقال:

كلُّ امرئٍ فكما يُدينُ يُدانُ      سبحانَ مَنْ لم يَخُلُ منه مكانُ

(أبو العتاهية، ١٤٢٥هـ.ق: ص ٣٧٢)

و قد اقتبسها الطرابلسي قائلاً:

كما تدينُ يا فتى تُدانُ      فليكنْ منكْ أبداً إحسانُ

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ١٢٢)

أمّا ابن زيدون فقد قال فى ولادة يمشد ودها:

دُومى علىّ العهدِ مادُمنا محافظةً      فالحرّ مَنْ دانَ أحياناً كما ديننا

(الشيبي، ٢٠٠٣م: ص ٣٦٧)

لا يُغنى حذرٌ من قدر: الحذر: التحرز من الشئ وهو ظاهر. والقدر: ما كتبه الله تعالى وقدره للكائنات (اليوسى، ٢٠٠٣م: ج ١/ ص ١٠١). و ليس المراد من عدم إغناء الحذر عدم التسوّقى و الإلقاء فى التهلكة حتّى قبل حلول الحادثة، بل الغرض أنّ ما قضى الله بوقوعه فلا دافع له، أى لا

حذر بعد وقوع القدر لعدم استطاعة البشر على دفعه أو رفعه وإلا وجب بقدر الإمكان عقلاً و تقلاً. أما الأول فالعقل قاض بدفع الضرر أو رفعه المقطوع به، و الثاني قوله تعالى: «و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة». (البقرة/ ١٩٥). و المثل شائع الاستعمال بلفظه أو بلفظ قريب منه فى بعض البلاد العربية، يُضرب فى عدم قدرة الإنسان على ردّ القضاء و لو كان فى غاية الحذر. هذا من الأمثال الحكمية، و مثله قولهم: «لا ينفع حذرٌ من قدر» و «إذا حلَّ القدرُ بطلَ الحذرُ» و «لا يُغنى الحذرُ إذا حُمَّ القدرُ» و كذلك الأمثال الأخرى (خلايلي، ١٩٩٨م: ص ٣٥٤).

قال الامام على(ع) مشيراً إلى هذا المثل:

أى يومى من الموت أفر  
يوم ما قدير أم يوم قدير  
يوم ما قدير لم أخش الردى  
و إذا قدير لم يُغن الحذر

(ديوان الامام على، ١٣٦٢هـ.ش: ص ١٩٣)

وقد اقتبس منه الطرابلسي فقال:

لا ينفع الحذر مما قد قدير  
إذا فلا يفلت من كان حذر

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٢٠١)

لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً: البغى: مجاوزة الحدّ. و طلب الرفعة و الاستطاعة على الغير، و من علا و ظلم و عدل الحق فهو الباغي (القمي، بلاتا، ج ١/ ص ٩٠). و بما أن البغى هو الطريق إلى سخط الله تعالى و أنه يعدل عند الله الشرك، يُعدّ من الذنوب التي تتغير النعم و تعجل النقم، و الباغي مغلوب لا محالة و عاقبته الهلاك. يُضرب لتجنب البغى و العدوان، أو فى التحذير من سوء عاقبة الظلم. أما المثل فقد روى أيضاً عن النبى(ص) بهذه العبارة: «لو بغى جبل على جبل لذكّ الباغي منهما» (السيوطي، ج ٢/ ص ١٢٩)، و قريب منه ما قاله الإمام على(ع): «لو بغى جبل على جبل لهلك الباغي» (القمي، بلاتا: ج ١/ ص ٩٠)، و معناه أن الباغي و لو كان جبلاً سديداً ينهدم و يضمحلّ سريعاً.

وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

يا صاحب البغى إن البغى مصرعة  
فاربغ فخير فعال المرء أعسله  
فلو بغى جبل يوماً على جبل  
لأندك منه أعاليه و أسفله

(الزمخشري، ١٤٢٩هـ.ق: ج ٢/ ص ٢٥٤)

ليس الخبر كالمعاينة: أى المشاهدة. يُروى أن رسول الله(ص) أول من قاله (الميداني، احمد،

١٣٧٤هـ.ق: ج ٢/ص ١٨٢)، و معناه أن الخبر ليس في القوة كالنظر بالعيان، فما رآه الإنسان ببصره قوى علمه به، ولكن الخبر لاحتمال الصدق والكذب فيه لا يعتنى به، لذلك قيل: «خُدْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به» (المتنبي، بلاتا: ج ٣/ص ٢٠٥)، كما أشار الإمام علي (ع) إلى هذا المعنى قائلاً: «الباطلُ أن تقولَ سمعتُ، و الحقُّ أن تقولَ رأيتُ» (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ.ق: ص ١٩٨). هذه الكلمة الحكيمة تدلُّ على بطلان أكثر المسموعات الشائعة و صحّة المشاهدات المألوفة التي يمكن التصديق بها. و المثل عدّ من جوامع الكلم و طرائف الحكم التي لم تُسمع من العرب قبل النبي (ص)، و هو ذائع الصيت في أكثر الأقطار الاسلامية. يُضرب في تحصيل العلم القطعي. و يقال في المعنى نفسه: «ليس المُخْبِرُ كالمعاین» (الزمخشري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ٢/ص ٣٠٣)

قال صفي الدين الحلّي:

إن قيل قد رُمّت في الهوى بدلا فانظر، فليس العيان كالخبر  
(صفي الدين الحلّي، بلاتا: ص ٤٥٥)

و قد اقتبس منه الطرابلسي فقال:

عاينتُ زيدا أيها المستخبرُ هيهات ليس كالعيان الخبيرُ  
(الطرابلسي، ١٣١٢: ج ٢/ص ١٥٢)

مَنْ تواضعَ لله رفعةً اللهُ: حديث شريف، جرى مجرى الامثال (الميداني، ١٣٧٤هـ.ق: ج ٢/ص ٤٥٠)، و هو شائع الاستعمال في أوساط الخاصة و العامة على حدّ سواء في معظم البلاد الاسلامية. ومعناه أن الإنسان إذا تواضع لأجل عظمة الله تواضعاً حقيقياً و بذل نفسه له، فسيجازيه الله بأحسن ما عمل و يصيرّه في أعين الناس كبيراً. يُضرب في من يريد رفعةً. قال بعض أهل التحقيق: إن الرفعة لا تقع إلا بقدر النزول؛ ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها؟ و المثل قد روي أيضاً بلفظ «ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعةً اللهُ». (المنّاوي، ١٣٩١هـ.ق: ج ٦، ص ١٠٩)

قال الشاعر مستمداً بعض مفرداته:

تواضع لربِّ العرشِ علّك ترفعُ فما خابَ عبدٌ للمهيمِنِ يخضعُ  
(الهاشمي، ١٣٨٤هـ.ق: ج ٢/ص ٤٨٠)

و قال الآخر:

إذا شئتُ أن تزدادَ قدراً و رفعةً فلنْ و تواضعْ واتركِ الكبرَ العُجبا  
(المصدر نفسه)

١٤٠ دراسة في الأمثال النبوية و أثرها في الشعر العربي

و قد استلهم منه أبو محمد التيمي فقال:

تواضعَ لما زادهُ اللهُ رفعةً فكلُّ رفيعٍ عندهُ متواضعٌ

(التعالبي، ١٤٠٣هـ.ق: ص ١٧٨)

و نحوه قول بعضهم:

تواضعٌ إذا مانلتَ في النَّاسِ رفعةً فإنَّ رفيعَ القومِ مَنْ يتواضعُ

(الهاشمي، ١٣٨٤هـ.ق: ج ٢/ ص ٤٨٠)

و قد تأثر به الخليل بن أحمد بن محمد السجزي قائلاً:

ليسَ التطاولُ رافعاً منْ جاهلٍ و كذا التواضعُ لا يضربُ بعاقِلٍ  
لكنْ يَزادُ إذا تواضعَ رفعةً ثمَّ التَّطاولُ مالهُ منْ حاصلٍ

(ياقوت الحموي، ١٤٠٠هـ.ق: ج ١١/ ص ٧٩)

و قد اقتبس منه الطرابلسي فقال:

مَنْ يتواضعُ لِللهِ رفعةً و ضدهُ بدونِ شكٍّ وضعهُ

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٤٠٠)

و إلى هذا أشار بعض الشعراء بقوله:

تواضعٌ تَكُنْ كالبدرِ لاحٍ لناظرٍ على صفحاتِ الماءِ وَهُوَ رفيعٌ  
ولا تكُ كالِدخانِ يعلو تجبراً على طبقاتِ الجوّ وَهُوَ وضيعٌ

(خلايلي، ١٩٩٨م: ص ١٥٢)

هذه الابيات تدل على أن المثل وقع موقع العناية لدى الشعراء، لأن التواضع من أهم نعم الله تعالى على عباده، و هو الطريق إلى مرضاته، وأنه ثمرة العلم النافع الذي يخول لصاحبه أن يحصل على المرتبة الرفيعة.

النَّاسُ كَأَسنانِ المَشْطِ: أي متساوون في النسب، فكلهم بنو آدم. أول من تكلم به رسول الله (ص) (ابوهلال العسكري، ١٤٠٨هـ.ق: ج ١/ ص ٥٢٢)، و المثل جزء من هذا الحديث: «النَّاسُ كَأَسنانِ المَشْطِ كلَّهم منْ آدمٍ و آدمٌ منْ ترابٍ، و إنَّما التَّفاضُلُ بِالعملِ الصَّالحِ و الفعلِ الجميلِ» (الغروي، ١٤٠١هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٠٣) يُضرب في المساواة بين النَّاسِ. و مما يتناغم مع هذا الحديث الشريف، ما ورد في القرآن الكريم: «يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ



الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (النساء / ١) و «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». (الحجرات / ١٣). و من جميل ما أثار عن النبي (ص) في هذا الصدد قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي وَلَا عَجْمِي عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى» (المتقى الهندي، ١٤٠٥هـ.ق: ج ٣/ ص ٩٣). والمثل لما فيه من الظرائف الأدبية، لقي بالغ العناية من قِبَل الأدباء و الشعراء، كما تأثر به بعضهم و ضمّوه في قصائدهم.

قال الصنوبري:

أناسٌ هم المشطُ استواءً لدى الوغى إذا اختلف الناسُ اختلافَ المشاجبِ

(البكري، ٢٠٠٣م: ص ١٥٧)

وقال كشاجم مقتبساً منه:

تشاكلوا فأشكلوا فهم كأسنان المشط

(التعالبي، ٢٠٠٣م: ص ٢٧)

وقد اقتبسه الطرابلسي فقال:

الناسُ كالأسنان للمشطِ غدواً أي هم بنو آدم هكذا حكوا

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٠٣)

الوحدة خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ: قاله النبي (ص)، و تتمته «والجليسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ» (السيوطي، بلاتا: ج ٢/ ص ١٩٧). معناه أن الانسان لو كان وحيداً خيراً من أن يختار صحبة أهل الدناءة والبطالة. يُضْرَبُ فِي تَجَنُّبِ الْجُلُوسِ مَعَ الْأَشْرَارِ. و قد وردت أحاديث كثيرة في ذم مصاحبة الكذّاب و الفاسق و البخيل و الأحمق و السفلة و الجاهل، و في النهي عن مجالسة الملوك و الأشرار و الأندال و أهل الهوى و ابناء الدنيا. و لعل من أهم ما يلفت النظر في هذا المقام أن الامام علياً (ع) قد جمع ذلك في كلمة وهي قوله: «جماعُ الشرِّ في مقاربة قرين السَّوِّءِ» (محمدي الري شهري، ١٤٠٣ - ١٤٠٥هـ، ج ٥/ ص ٤٣). ثم أشار إلى عاقبته الوخيمة قائلاً: «مجالسةُ الأشرار تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار» (القمي، بلاتا: ج ١/ ص ١٦٦)، و قريب منه ما قاله النبي (ص): «إِيَّاكَ وَ قَرِينَ السَّوِّءِ فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرَفُ» (السيوطي، ج ١/ ص ١١٦). و بما أن مكابدة العزلة أيسر من مداراة اللثام، ينبغي للإنسان أن يتحرز من قرناء السَّوِّءِ و يجتنب صحبة الأشرار صوتاً له من العار.

قال أبو العتاهية:

وحدةُ الإنسان خيرٌ      من جليسِ السوءِ عندَهُ  
و جليسُ الخيرِ خيرٌ      من جلوسِ المرءِ وحدهُ

(ابوالعتاهية، ١٤٢٥هـ.ق: ص ١٣٦)

وقد اقتبسه الطرابلسي قائلاً:

و من جليسِ السوءِ قيلَ الوحدةُ      خيرٌ فيا هَنا مقيمِ وحدةُ

(الطرابلسي، ١٣١٢هـ.ق: ج ٢/ ص ٣٢٤)

## النتيجة

هذا غيض من فيض يدلّ على أنّ الأمثال النبوية البديعة الرائعة التي تمثل عقلية راقية و لغة فصيحة متكاملة، صدرت عنّ روح النور و رحمة للعالمين، و لو أراد جميع البلغاء أن يأتوا بمثل هذه الامثال لعجزوا عنها لأنّها قد انبثقت عن فطرة سامية، و بزغت بروائع الأسرار، فكان لها أثرها العميق و دلائلها الباهرة. فإذا نظرت فيما وصل إلينا من كلام النبي الأعظم (ص) من جهة الصناعتين اللغوية و البيانية، رأيته مسدّد اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء، حسن المعرض، واضح التفضيل، جيّد الرصف، ظاهر الحدود، متمكّن المعنى، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان لاشتمالها على الألفاظ الفصيحة المختارة، و العبارات التامة التي لا يشوبها إيجاز مخلّ و لا إسهاب مملّ، فلذلك خلّت خطبه و مواظمه و أمثاله البليغة من التعثر و الخطل و القصور و الضعف و سائر العيوب التي تلحق كلام الفصحاء.

و لا يغيب عن البال أن النبوة لها أثرها العظيم في فن البلاغة النبوية التي امتاز بها النبي (ص) عن كلّ بلغاء العالم و بما أن كلامه نور و جمال و حكمة و حياة، فقد وقع عند أهل البيان بموقع عظيم و أودع في نفوسهم المحاسن الرفيعة و الحقائق العالية، ثم أخذ الشعراء أمثاله البليغة و ضمّوها في أبيات قصائدهم.

## الهامش

١. لمزيد من الشرح و التفصيل، راجع: مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن و البلاغة النبوية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢١هـ.ق: ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

٢. بناء على ما روى عن الشعبي، أكد أبو هلال على أن أول من قاله النبي (ص). لمزيد من الاطلاع على نصّ الرواية، راجع: ابوهلال العسكري، *جمهرة الامثال*، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.ق: ص ٨٥ - ٨٦.
٣. هذه الرواية مطوّلة لخصّنها، و قد رواها ابن الشيخ الطوسي عن والده بسنده المتسلسل إلى مسلم الغلابي. راجع: امالي الشيخ الطوسي، قم: مكتبة الداوري، ج ١/ ص ٧٢ - ٧٤.
٤. لمزيد من الاطلاع، راجع: عباس القمي، *سفيّة البحار*، تهران، انتشارات فراهاني، ج ٢/ ص ٨؛ محمدي الري شهري، *ميزان الحكمة*، قم: مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٣ - ١٤٠٥ هـ.ق: ج ٢/ ص ٦٣ و ج ٥/ ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

## المصادر

### القرآن الكريم.

- الابشيهي، شهاب الدين محمد (بلا تا). *المستطرف في كلّ فنّ مستطرف*، تصحيح احمد سعد علي، بيروت: داراحياء التراث العربي.
- ابن ابي الحديد، عبدالحميد (١٣٧٨ هـ.ق). *شرح نهج البلاغة*، به تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، القاهرة: داراحياء الكتب العربية.
- ابن الاثير، مجدالدين (١٣٦٤ هـ.ق). *النهاية في غريب الحديث والاثر*، تحقيق طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناجي، ط ٤، قم: مؤسسه اسماعيليان.
- ابن خلّكان، احمد (١٣٩٧ هـ.ق). *وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان*، حققه احسان عباس، بيروت: دار صادر.
- ابن منظور، محمد (١٤١٣ هـ.ق). *لسان العرب*، ط ٢، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي و داراحياء التراث العربي.
- ابو تمام، حبيب بن اوس (١٤٢١ هـ.ق). *ديوان ابي تمام*، شرحه و ضبطه و قدّم له ايمان البقاعي، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
- ابوالعناهيّة، اسماعيل (١٤٢٥ هـ.ق). *ديوان ابي العناهيّة*، قدّم له و شرحه مجيد طراد، دارالكتاب العربي.
- ابو علي، محمد توفيق (١٤٢٠ هـ.ق). *روائع الامثال الشائعة*، ط ٢، بيروت: دارالفائس.
- ابونواس، الحسن بن هاني (١٤١٢ هـ.ق). *ديوان ابي نواس*، حققه و ضبطه و شرحه احمد عبدالمجيد الغزالي، بيروت: دارالكتاب العربي.
- ابوهلال العسكري، الحسن (١٤٠٨ هـ.ق). *جمهرة الامثال*، حققه و علّق حواشيه و وضع فهرسه، محمد ابوالفضل ابراهيم و عبدالمجيد قطامش، ط ٢، بيروت: دارالفكر و دارالجيل.
- ابوهلال العسكري، الحسن (١٤١٩ هـ.ق). *الصناعتين*، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت: المكتبة العصرية.
- البيستي، ابوالفتح علي (٢٠٠٨ م). *ديوان ابي الفتح البيستي*، تحقيق شاكرا العاشور، دمشق: دارالنبيع.
- البكري، ابو عبيد عبدالله (٢٠٠٣ م). *فصل المقال في شرح كتاب الامثال*، تحقيق و شرح و فهرسة قصى الحسين، بيروت: دارو مكتبة الهلال.

## ١٤٤ دراسة في الأمثال النبوية و أثرها في الشعر العربي

- التعالبي، ابومنصور عبدالملك (١٤٠٣ هـ.ق.). *الاعجاز و الايجاز*، ط ٢، بيروت: دارالرائد العربي.
- التعالبي، ابومنصور عبدالملك (١٩٨٣ م.). *التمثيل و المحاضرة، تحقيق عبدالفتاح الحلو*، ط ٢، الدار العربية للكتاب.
- التعالبي، ابومنصور عبدالملك (٢٠٠٣ م.). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق و شرح و فهرسة قصى الحسين*، بيروت: دارو مكتبة الهلال.
- التعالبي، ابومنصور عبدالملك (١٤٢٠ هـ.ق.). *يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر*، شرح و تحقيق مفيد محمد قميحة، دارالكتب العلمية.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (١٤١٩ هـ.ق.). *البيان والتبيين*، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، بيروت: دارالكتب العلمية.
- جام نامقي، احمد (١٣٥٠ هـ.ش.). *انس التائبين و صراط الله المبين*، با مقابله و تصحيح و تحشيه و مقدمة على فاضل، تهران: بنياد فرهنگ ايران.
- الحريري، القاسم (١٣٦٤ هـ.ش.). *مقامات الحريري*، مؤسسة فرهنگي شهيد محمد رواقى.
- خلايلي، كمال (١٩٩٨ م.). *معجم كنوز الأمثال والحكم العربية*، بيروت: مكتبة لبنان.
- ديوان امام على (١٣٦٢ هـ.ش.). *ترجمة مصطفى زمانى*، قم: پيام اسلام.
- الرافعى، مصطفى صادق (١٤٢١ هـ.ق.). *اعجاز القرآن و البلاغة النبوية*، بيروت: دارالكتب العلمية.
- الرافعى، مصطفى صادق (بلاطا). *وحى القلم، ضبطه و صحّحه و علّق حواشيه محمد سعيد العريان*، بيروت: دارالكتاب العربي.
- الزمخشري، محمود (١٤٢٩ هـ.ق.). *الكشاف، ضبط و توثيق ابي عبدالله الداني*، بيروت: دارالكتاب العربي.
- الزمخشري، محمود (١٤٠٨ هـ.ق.). *المستقصى في امثال العرب*، ط ٢، بيروت: دارالكتب العلمية.
- السامرائى، ابراهيم (بلاطا). *في الامثال العربية*، كويت، وزارة الاعلام.
- السيوطى، عبدالرحمن (بلاطا). *الجامع الصغير في احاديث البشير النذير*، ط ٤، بيروت: دارالكتب العلمية.
- الشرىف الرضى، محمد (١٣٨٧ هـ.ق.). *نهج البلاغة، ضبط نصّه و ابتكر فهارسه العلمية صبحى الصالح*، بيروت: مطبعة دارالكتاب اللبناني.
- الشيبى، محمد (٢٠٠٣ م.). *تمثال الامثال، تحقيق و شرح و فهرسة قصى الحسين*، بيروت: دارو مكتبة الهلال.
- صفى الدين الحلّى، عبدالعزيز (بلاطا). *ديوان صفى الدين الحلّى*، بيروت: دار صادر.
- الطرابلسى، ابراهيم (١٣١٢ هـ.ق.). *فرائد الآل في مجمع الامثال*، بيروت: بدون ناشر.
- الطوسى، محمد (بلاطا). *أمالى الشيخ الطوسى*، قم: مكتبة الداورى.
- الغزوى، محمد (١٤٠١ هـ.ق.). *الأمثال النبوية*، بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.
- القمى، عباس (بلاطا). *سفينة البحار و مدينة الحكم و الآثار*، تهران: مؤسسة انتشارات فراهانى.
- المتقى الهندى، على (١٤٠٥ هـ.ق.). *كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال*، ضبطه و فسّر غريبه الشيخ بكرى حياى، و صحّحه و وضع فهارسه و مفتاحه الشيخ صفوة السقا، ط ٥، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المتنبى، احمد (بلاطا). *ديوان المتنبى*، شرح البرقوقى، بيروت: دارالكتاب العربي.
- المجلسى، محمداقار (١٤٠٣ هـ.ق.). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، ط ٣، بيروت: داراحياء التراث العربى.

- محمدي الري شهري (١٤٠٣ - ١٤٠٥ هـ.ق). ميزان الحكمة، قم: مكتب الاعلام الاسلامي.
- المناونى، محمد عبدالرؤف (١٣٩١ هـ.ق). فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط ٢، بيروت: دارالمعرفة.
- الميدانى، احمد (١٣٧٤ هـ.ق). مجمع الامثال، حقيقه و فصله و ضبط غزائبه و علق حواشيه محمد محيى الدين عبدالحميد، بيروت: دارالمعرفة.
- الهاشمى، احمد (١٣٨٤ هـ.ق). جواهر الادب فى ادبيات و انشاء لغة العرب، ط ٢١، مصر: مطبعة السعادة.
- ياقوت الحموى، شهاب الدين (١٤٠٠ هـ.ق). معجم الادباء، ط ٣، بيروت: دارالفكر.
- يعقوب، اميل بديع (١٤١٥ هـ.ق). موسوعة أمثال العرب، بيروت: دارالجيل.
- اليوسى، الحسن (٢٠٠٣ م). زهر الأكم فى الأمثال و الحكم، تحقيق و شرح و فهرسة قصى الحسين، بيروت: دار و مكتبة الهلال.

